

قصيدة المديح النبوي في المسابقة التلفزيونية "القصيدة المحمدية في مدح خير البرية". مقارنة تأويلية لنصوص شاعر المصطفى "ياسين أفريد"

The Prophetic Praise Poem in the Television Competition "Al-Qasidah Al-Muhammadiyah fi Madh Khayr Al-Bariyyah": An Interpretive Approach to the Poems of "Yacine Afreed" the prophet's poet

* منى دوزة

Mouna Douza

مخبر البحث في الدراسات الأدبية واللغوية والتعليمية والترجمة

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل (الجزائر)

Mohamed Seddik Ben Yahia, University of Jijel (Algeria)

mouna.douza@univ-jijel.dz

تاريخ النشر: 2026/03/02

تاريخ القبول: 2026/02/10

تاريخ الإرسال: 2025/09/15

ملخص البحث

"القصيدة المحمدية في مدح خير البرية" هي مسابقة لاختيار أحسن قصيدة في مدح الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وقد وقع اختيارنا على الفائز بالجائزة الأولى الشاعر "ياسين أفريد" الذي أظهر في قصائده تنوعاً في مظاهر الملكة الشعرية بعد وعيه بالمديح النبوي وقصديته في التبرك والتضرع. وعليه فإن هذا المقال يحاول الوقوف عند خصوصية هذه التجربة الصوفية وتوصيفها توصيفاً تقديماً باعتدال المقارنة التأويلية، محاولين الإحاطة بالإشكالات التالية: ما هي مرجعيات الشاعر "ياسين أفريد" وما أطره المعرفية في صياغة نصوصه؟ هل الشعر عنده لغة تعبير أم لغة خلق؟ ما هو منهجه وأسلوبه في الإجادة والتحسين؟ وما هي الرسالة التي أدتها مسابقة "القصيدة المدحية في مدح خير البرية"؟

الكلمات المفتاحية: قصيدة المديح النبوي، مسابقة تلفزيونية، رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، شعر صوفي، جائزة أولى، شاعر المصطفى.

Abstract :

"The Qasidah Muhammadiyah in Praise of the Best of Creation" is a television competition aimed at selecting the finest poem in praise of the Prophet Muhammad—peace be upon him. This study focuses on the first-prize winner, the poet Yacine Afreed, whose poems demonstrate a remarkable diversity of poetic competence, reflecting his

* منى دوزة: mouna.douza@univ-jijel.dz

deep awareness of the tradition of Prophetic praise poetry (madīḥ nabawī) and its inherent purposes of seeking blessing and supplication. Accordingly, this article seeks to explore this unique Sufi poetic experience through both aesthetic appreciation and critical methodologies, addressing the following issues: What are the intellectual backgrounds and epistemological frameworks that inform Yacine Afreed's poetic production? Does poetry for him function as a medium of expression or a creative mode of being? What are his methods and stylistic approaches to poetic excellence and embellishment?

Keywords: Prophetic praise poem, television competition, Prophet Muhammad (peace be upon him), Sufi poetry, first prize, Poet of the Chosen One.



مقدمة:

لا نكاد نعرف أمة من الأمم القديمة اهتمت بالشعر واحتفت به كما اهتم العرب، ولا زالوا كذلك إذا ما تعلّق الأمر بمدح خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم. في حياته وبعد وفاته -سنتين وأعوام مديدة- أخذت الأفلام والألسن تجود بالدفاع عن المقام الشريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتتسابق لبيان فضله وعظمته وأخلاقه ونصرة سنته، و"القصيدة المحمدية في مدح خير البرية" هي مسابقة تختص بمدح الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وتمجيد سيرته النبوية العطرة، تهدف المسابقة إلى اختيار أفضل المتسابقين الذين يصدقون بأجمل القصائد مستخدمين أرقى الأدوات الشعرية وأجود الأساليب والتراكيب والصور للارتقاء بالحبس الشعري والوصول إلى أبهى جماليات الشعر المتخصص في مدح الرسول، ومن ثم الاستحواذ على استحسان لجان التحكيم والعصف بقلوب الجمهور العريض الذي يتابع بحيازية شديدة.

أولاً- المدائح النبوية في تاريخ الأدب العربي:

شعر المدائح النبوية جزء لا يتجزأ من الشعر العربي؛ عبر تاريخ آدابنا العربية منذ العصر الإسلامي وحتى العصر الحديث لبى الشعراء دعاء الحب النبوي ورطبوا ألسنتهم بالصلاة والسلام والثناء على أشرف المرسلين، وقد كان الاهتمام بالمدح النبوي وبروافده كالبديعيات والمولديات والشوقيات- بالغاً على مدى العصور لما فيه من التبرّك والتضرّع، ولا عجب من الكم الهائل من القصائد «لأن فيه أجرين: أجر الصلاة على خير الأنام، وهو الامتداح، وأجر الإجابة والتحسين»¹.

على الرغم من أنّ «الرسول صلى الله عليه وسلم كان عازفاً عن مدح الشعراء وموتها كلّ همّة إلى صرف الشعراء نحو تأكيد أسس الدين الجديد ونشر الرسالة والتمكين لها في أرجاء الأرض»² إلا أن طائفة من الشعراء انبرت للدفاع عنه

صلى الله عليه وسلم بالقول البليغ والكلمة الطيبة، فحسب ما جاء على لسان سيدنا كعب بن مالك (ض): «ما يمنع القوم الذين نصرُوا رسول الله بسلامهم أن ينصروه بألسنتهم؟».

أما تاريخ شعر المدايح النبوية فيعود إلى ولادة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عندما أخذه جدّه "عبد المطلب" إلى جوف الكعبة، فقام يدعو مردّدًا بعض الشعر يشكر فيه الله على نعمة ذلك الطفل الوليد:

الحمْدُ لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهدي على الغلمان أعينه بالبيت ذي الأركان³

وفي عهد النبوة كان "حسان بن ثابت" رضي الله عنه رائد فن المديح النبوي، أحب الرسول وكان (رضي الله عنه) مناخًا ومدافعًا عن الإسلام ورسوله حتى قال له الرسول عليه الصلاة والسلام: (أَجْهَرُكُمْ أَوْ هَاجِمُكُمْ وَجَبْرِيلُ مَعَكُمْ)⁴، وقد كان شعره أشدّ وقعًا على الكفار من وقع السيوف. وقد حذا حذو "حسان" الكثير من الشعراء؛ وهم المشرفون بلقب (شعراء الرسول): حسان بن ثابت، كعب بن مالك، عبد الله بن رواحة، الأعشى، النابغة الجعدي، الكميّ بن زيد، الخزيم الكِنَاني، السيد الحميري، مكيار الديلمي، محمد بن المستنير (قطرب)، أبو العتاهية، القاسم بن يوسف... إلخ⁵، وقد اشتهر "كعب بن زهير" بقصيدته "البردة" الشريفة؛ التي مدح بها الرسول معتذرًا إليه عند إسلامه، والشهيرة بمطلعها:

بانت سعاد قلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

على نهج البردة نُظمت قصائد كثيرة، على أنّ شعر المديح النبوي الشريف قد ظلّ رهين النظرة التقليدية التي فرضتها التقاليد الفنية الرّصينة التي أرسّتها التجارب السابقة مشفوعةً بالقداسة الدينية التي أضفاها الثناء النبوي الكريم على تلك التجارب، فبرزت في العصر الأموي أسماء شعراء مثل "الفرزدق" و"الشريف الرضي"، وفي العصر العباسي اشتهر الشاعر "دعبل الخزاعي"، ولكنّ التطوّر الحقيقي لشعر المدايح النبوية بشكله الذي نعرفه اليوم لم يتحقّق وبرز إلا في القرن السابع هجري مع شعراء يأتي في مقدّمتهم شاعر المديح النبوي الأكبر "شرف الدين البوصيري" (696 هـ) وهو صاحب الهمزية والبردة المشهورتين في هذا الفن. وقد سلك مسلكه "الإمام الصرصري" (656 هـ)، "ابن معتوق" (707 هـ)، "ابن نباتة المصري" (710 هـ)، "الشهاب محمود الحلب" (765 هـ)، "ابن الوردي" (749 هـ)، والإمام "البرعي" (803 هـ)، كما عارضه الكثير من الشعراء ممن جاءوا بعده في العصور اللاحقة.

أمّا في العصر العثماني، فقد ازداد إقبال الشعراء على كتابة المدايح النبوية متبعين في ذلك مناهج من سبقهم من خلال المعارضات الشعرية التي اتسمت بالأصالة وجفاف القريحة الشعرية، إلا أنّ هذا الفنّ الشعري «شهد نوعًا من الوشّة الشعرية نحو الإجادة والتحسين مع الشعراء رواد الإحياء في العصر الحديث؛ مثل أحمد سامي البارودي، وأحمد شوقي أو حتى شعراء أكثر تأخرًا مثل أحمد محرم الذي نظم السيرة النبوية في ديوان ضخم سّمّه "مجلد الإسلام"، واشتهر باسم "الإلياذة الإسلامية"⁶.

وقد شهد عصر النهضة الحديثة روائع شعرية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، تجلّت في مطولة "محمود سامي البارودي" المسماة "كشف الغمة في مدح سيد الأمة" و"نهج البردة" وامتدّت إلى أشعار "أحمد شوقي" في قصائده المدحية، قصائد "عمر بن أبي ريشة"، "خليل مردم"، "أنور العطار" وغيرهم.

وفي المغرب نجد كوكبة من الشعراء انبروا لشعر المديح النبوي، وفي الجزائر تحديدا، «رُكّز الشعر الديني الجزائري على مدح النبي صلى الله عليه وسلم وآله وصحابه، ومدح الشيوخ والأولياء والصالحين، وانقسمت هذه المدائح إلى نوعين؛ فالأول هو ما كان امتدادا للتراث القديم في هذا الموضوع، أما النوع الثاني فهو الذي اتخذ من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مبدأ الدعوة إلى النهوض واليقظة وذلك بعد أن تطورت الحياة الفكرية والأدبية والسياسية، فالأول كان تعبيرا عن مرحلة حضارية عاشتها الجزائر قبل هذا القرن، وكان الدين فيها قد أصبح هو القوة الوحيدة التي بقيت للناس في حياتهم، أما النوع الثاني فكان تعبيرا عن مرحلة حضارية جديدة انتقلت إليها الجزائر»⁷؛ عطفنا على ذلك، فقد تميز الشعر الجزائري بنوعين من قصائد المديح النبوي؛ يقول "عبد الله ركيبي" في هذا الصدد: «ويمكن التفريق بين نوعين من المدائح النبوية في الشعر الجزائري الحديث، النوع الأول هو ما كان امتدادا للتراث القديم في هذا الموضوع، وهو يرتبط - أساسا- بالنظرة الصوفية إلى حد كبير. أما النوع الثاني فهو الذي اتخذ من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مبدأ للدعوة إلى النهوض واليقظة، وذلك بعد أن تطورت الحياة الفكرية والأدبية والسياسية»⁸ في الجزائر.

بالرجوع إلى مسابقة "القصيدة المحمدية في مدح خير البرية"⁹ سنجد مثلاً شعريا ثريا كآله في المديح النبوي، وإذا خصصنا دراستنا مركزين على الفائز بالجائزة الأولى عن الشعر الفصيح فإننا سنجد بأن الشاعر الفائز "ياسين أفريد" قد وعى مفهوم المديح النبوي والغرض منه، وما قيل فيه، وما كُتب عنه، وهذا الاطلاع شكل مرجعيته الشعرية، كما شكل وعيه بالمديح الشعري وأهمية إطاره النظري، وبالتالي شكل له قصيدة لا تختلف عن القصيدة القديمة من المديح النبوي، وهي التبرك والتذرع والتوسل ومدح خير البرية، والتقرب إلى الله تعالى بالحمد والثناء بأسلوب متفرد رصين.

ثانيا- شاعر المصطفى "ياسين أفريد". مقارنة تأويلية لنصوصه الشعرية ضمن مسابقة

"القصيدة المحمدية في مدح خير البرية":

في القصائد "أنوار الخلاص"¹⁰، "قاب قوسين أو أدنى"¹¹، "مدارج العشق"¹² تنوع في مظاهر الملكة الشعرية، حيث جمع الشاعر "ياسين أفريد" في الأدوار الثلاثة من المسابقة بين حرية التعبير ورعاية التصوير وتنوع الأساليب الفنية. لغة جزلة وخفمة، ألفاظ معبرة موحية، وأسلوب يمتاز بالرفعة والسهولة بعيدا عن التعقيد والغموض. وكل ذلك أهله ليكون واحدا من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم المعاصرين، ولو أنه لم يعاصر الدعوة الإسلامية في انبثاقها وظهورها وانتشارها، كما أهله ذلك لأن يكون الفائز بالجائزة الأولى في فن المديح النبوي في الجزائر ليحسب في زمرة فحول فن المديح المبرزين في العالم العربي والإسلامي.

بني الشاعر قصائده بناءً تقليديا على البحور الخليلية، وقد التزمها التزاما تاما؛ الطويل في قصيدة "أنوار الخلاص"، الكامل في قصيدة "قاب قوسين أو أدنى"، والبسيط في قصيدة "مدارج العشق". وفيما يلي التقطيع العروضي لمطالعها - كما ورد ذكرها على التوالي-

وَهْمْتُ بِأَصْفَاعِ الْهَوَى الْمُنَجِّدِ	وَهْمْتُ بِأَصْفَاعِ لُ هَوْلُمُ تَجْدِدِي	عَلَى عَظَمِ بِالرُّوحِ جِئْتُكَ أَفْتَدِي	عَلَى عَ طَلَبِ بِرُّو حِ جِئْتُ لَكَ أَفْتَدِي
0//0//	/0//	0//0//	/0//
فَعُولُ مَقَاعِلُنْ	فَعُولُ مَقَاعِلُنْ	فَعُولُ مَقَاعِلُنْ	فَعُولُ مَقَاعِلُنْ

رَدُّ مَشْرَبِ التَّأْوِيلِ وَالْعَرَفَانِ وَأَطْلُ وَرُودَكَ يَزْتَوِي الثَّقْلَانِ
رَدُّ مَشْرَبَتِ تَأْوِيلِ وَلَدِ عِرْفَانِي وَأَطْلُ وَرُو دَكَ يَزْتَوِي ثَقْلَانِي
0//0/0/ 0//0/0/ 0//0// 0//0// 0//0// 0//0//
مُتَقَاعِلُنْ مُتَقَاعِلُنْ مُتَقَاعِلُنْ مُتَقَاعِلُنْ مُتَقَاعِلُنْ مُتَقَاعِلُنْ

لَا تَسْأَلُوا الْقَلْبَ مَا السَّلْوَى وَمَا الشَّعْفُ يَمْشِي الْحَنِينُ بِأَقْوَامٍ وَإِنْ وَقَفُوا
لَا تَسْأَلُ قَلْبَ مَنْ سَلْوَى وَمَشْدُ شَعْفُو يَمْشِي الْحَنِينُ نَ بَاقٍ وَأَمِنْ وَإِنْ وَقَفُوا
0//0/0/ 0//0/ 0//0/0/ 0//0/0/ 0//0/0/ 0//0/0/
مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ

كانت هذه المطالع غزلية مصرّعة على عادة القدماء، وهي في "أنوار الخلاص" وفي "قاب قوسين أو أدنى" تحمل طابعا أدبيا جميلا ومعنى عميقا، حيث تصوّر شخصا عاد من سفره بعد أن أضناه الكمد فاستقرّ في مرتع للبوح؛ وهو بوح روحي نقي، حب صادق يعبر عن رجعة الحب بعد رحلة ميتافيزيقية وهو محمّل بالشوق وحرّ الهجر والنوى، وإعلان حبه لمعشوقه صلى الله عليه وسلم لا يخلو من الشكوى، وهي شكوى لا تعبر عن عدم الرضا وإنما تعبر عن ضعف قوته وقلة حيلته أمام حالة الطهر التي اعترضته. جاء في قصيدة "أنوار الخلاص":

على عَطَبٍ بِالزَّوْجِ جِئْتُكَ أَفْتَدِي وَهَمْتُ بِأَصْقَاعِ الْهَوَى الْمُتَجِدِّ
عَكَفْتُ عَلَى رُوحِي أَجْرُ أَيْنَهَا وَيَمْشِي الْحَنِينُ الْحَزَّ مَشْيِي مَقِيدِ
كَأَنِّي بِهَا الْعَمْرُ أَهْرُ حَالَهُ مِنْ الْيَتَمِ.. ذَابْتُ فِي الْيَقِينِ لِأَهْتَدِي
وَأَنْسَتْ فِي الرُّؤْيَا فَضَاءَ مَعْشَقًا بِضَوْءِ سَمَوِيٍّ، وَوَجْهَ مُحَمَّدٍ
ويقول في قصيدة "قاب قوسين أو أدنى":

رَدُّ مَشْرَبِ التَّأْوِيلِ وَالْعَرَفَانِ وَأَطْلُ وَرُودَكَ يَزْتَوِي الثَّقْلَانِ
هَيَّأْتُ كِي الْقَالِكِ كُلِّ رَوَاحِلِي وَأَتَيْتُ بَحْرَكَ عَلَنِي الْقَلَانِي
وَطَنَنْتُ نَفْسِي - لَيْتَهَا تَدْرِي - عَلَى حُبِّ يَزْتَوِي جُبَّةِ الثَّقْلَانِ
و طَفِقْتُ أَنَهْلُ مِنْ فَيُوضٍ يَقِينُهُ نَهْلَ الْمُرِيدِ، الْغَارِقِ، الظَّمْآنِ
إِيَّاهُ أَبَا الزُّهْرَاءِ جِئْتُكَ قَابِضًا جَمْرَ الْمَجَازِ، وَخَزَقَةَ الْفُقْدَانِ

يصوّر الشاعر حالته الوجدانية ومعاناته النفسية بسبب الشوق والحنين اللذين يذكيان قلبه ووجدانه معلنا أنّ حبه مواجيد حقّ وصديق لسيد الثقلين محمد صلى الله عليه وسلم وإن عجزت عنها فهم الأكبر. منهجه في الحب هو العذاب لا اللذة، هو حب روحاني يستدعي الحالات الصوفية وما يعزّي أصحابها من ألم ومكابدة في سبيل الوصول إلى المحبوب، مستعينا في ذلك بالمراسيل الشهيرة في الشعر العربي، يقول:

إِنِّي لأُجَبِّلُ من قَصَائِدٍ لم تزلْ بالبَاب واقِفَةً على نيرانِ
لا زِلْتُ أَصْعَدُ مَدْرَجَ المعْنَى على يُثْمِي فَيَفْضَحُ شَقَوْتِي، وهَوَانِي
كَمْ يُسْرِجُ الشُّعْرَاءُ خَيْلَ حُرُوفِهِمْ طَرَبًا .. وهَا أَمْشِي مع الرُّكْبَانِ
فَأَجِيءُ أَصْغَرَ من حُرُوفِي، كُلِّمَا رُمْتُ أَمْتِدَا حَاكَ تَسْتَحْيِي الشَّقَّتَانِ

في سبحة علوية من إلهامات حبّ وشوق الشاعر الصوفي "ياسين أفريد" اتصالٌ روحيّ بالعالم الديني عبر التاريخ البشري، الأمر الذي «جعله ينتشي بالحمرة الصوفية التي أجاد في وصفها بأسلوب قصصي حوارى مبتعدا عن صوت الأنا؛ أو ما يسمى بالصوت الواحد؛ فإذا بنا في حواريات صوفية راقية مدججا في مقامات وأحوال الأنبياء مع هذه الحمرة؛ حمرة المعرفة والوصول والانتشاء؛ التي يتوَكَّأ عليها للوصول إلى سيد خلق الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم»¹³، وهو غرض القصيدة الذي يكشف عن لهفة الحبّ في الاتصال بالمحبيب فناءً أو أنسا في تجربة وجدانية وروحية عميقة.

في هذه الأجواء الصوفية المهيبة كانت رؤيا الشاعر "ياسين أفريد" الذي عذّبه الشوق وحرّقه التطلع إلى معارج النور، يقول في قصيدة "أنوار الخلاص":

وَأَنَسْتُ في الرُّؤْيَا فضَاءً معشَقًا بضوءٍ سماويٍّ، ووجهٍ مُمجَّدٍ
على أَمَلٍ اللُّقْيَا أَسَابِيْقُ خَافِقِي.. إذا فَرَّ عندَ الكَشْفِ، يَفْضَحُ مَوْرِدِي

إنّ المؤمن إذا أحب اشتاق وإذا اشتاق اقترب ولان وارتفع إلى الله في سفرٍ طويل حدّ الفناء، وقد توصل الشاعر في قصائده برمز (الحمرة) الصوفية ليعمّق هاجسه الإيماني المسيطر على تجربته الشعرية حتى يبلغ في سفره منتهاه، يقول في "مدارج العشق":

سَيَّانَ بَيْنَ صَبُوحٍ كان يَمْزُجُهَا فَيَرْتَقِي، وَعَبُوقٍ راح يَغْتَرِّفُ
قَضَى لي اللّهُ ما أَلْقَى، وقد مَلَكْتُ عَليَّ قَلْبِي، فَها أَفْضِي وَأَعْتَرِّفُ
ويقول في "قاب قوسين أو أدنى":

شَوْقِي إِلَيْكَ سِقَايَتِي، و مِزاجُهُ أُنْسٌ، على حُبِّ، على إِذْمَانِ

يجمع الشاعر بين الشوق والشراب الروحي والأنس والإدمان، هذه المفوضات «دعوة للمتلقّي لكي يقف على المقاصد، وعلى اختلاف المواقف الخطائية التي تحكّمت في إنشاء المعنى... لأن النص الظاهر ليس في حقيقة الأمر سوى مزاح نص يسري بين سطوره»¹⁴؛ وعليه فالحمرة في المعنى المضمّر هي رمز للأزلية وللمحبة الإلهية، «من الحب تنشأ المعرفة والمشاهدة، ولذة المعرفة والمشاهدة، وفي الحب يتمتع الحبّ بالجمال المقدّس، ويا له من جلالٍ وجمالٍ! ونشوة الحب الكبرى، تسمى سُكْرًا، والسُّكْرُ علامة الصدق في الحب، وهو نشوةٌ روحية لا يمكن تصوّرها إلا بالتجربة»¹⁵ التي توصل إلى نسيان النفس والتجرّد من الهوى والتوجه كلياً لله حتى الوصول إلى مقام الفناء؛ «وهو أخطر مقامات التصوف وأبعدها أثراً في تاريخه. الفناء هو غاية الصوفية، ففيه يشربون رحيق الحب الأعلى، وينعمون فيه بمتع ولذائد روحية تنسيهم دنياهم وأخراهم ووجودهم، وكلّ شيء سوى المحبوب»¹⁶. فكان الشاعر يقول: "اللهم، أتوسل إليك بنشوق بك

وبسكر محبتي لك، أن تقربني إليك، شوقي هو الشراب الذي أسكرني، وهو شراب سيقربني إليك وإلى خير خلقك محمد صلى الله عليه وسلم"، إن الشاعر في قصيدة "أنوار الخلاص" أخذ يلهج باسم الله حدّ السكر، يقول:

وألهج باسم الله، واسمك شاهد
وهديك في الأسفار سفر تعبدي

الحب كما يقول الصوفية «هو سكر المشاهدة، وشجاعة الباذل، وإيمان الولي، والأصل الأصيل للتحقق الخلقي، والإدراك الروحي، هو نبذ النفس وتضحيتها، والتخلي عن كل مملوك من مالٍ أو جاهٍ، أو إرادةٍ أو حياةٍ، وعن كل ما يظنُّ به الناس، لوجه المحبوب، دون تفكيرٍ في جزاء»¹⁷، الحب وحده هو المعراج الموصل لمعرفة الله ولن يؤتّه إلا لمن بذل واجتهد ولهذا يتفانى الشاعر "ياسين أفريد" في ذكر الله بتكرار دائم وبلهفة غامرة لاسمه عز وجلّ حتى يبلغ درجة المصافاة والتجلي والمكاشفة الإلهية، التي ستكون حتماً المرشد في سفره نحو معارج الروح ومدارج العشق حيث يتجلى النور المحمدي.

في قصيدة "أنوار الخلاص" شطحات صوفية اتخذ فيها الشاعر من الحب والفناء معراجاً لغايته، يقول :

على بابك القلب المعنى معلّق
على التار يذكّيها، ويُعلِنُ مولدي
فأسري.. وقد جلى جِراء كُشوفه
وأعُجْ.. في قلبي ضياء، وفي يدي
أُفكّف شوقي دموعاً، فللجوى
صدى.. في ظلال الوجد هيتاً مُقْعدي

وجاء في قصيدة "قاب قوسين أو أدنى" قوله:

اشتقتُ للأحباب - قال - فلم تزل
أضغي إلى صوت الحنين مُجْدداً
تسري القصائد ثم تُفْرُجْ مثلما
روحي تدوب كقلبي الشّوان
قلبي دليلي في الفُروج وهمتي
عهد البراء ويعة الرضوان
فرحاً بهم القلب بالطيران
متعلّلي، و جوارحي خالني

في وقدة الحب ووهج الحنين تنبثق رحلة الأنا الشاعرة نحو الانعتاق دون قيود لتسافر في معراج روحي باحثة عن ذاتها الغائبة وعن لحظة القيا النوراني حيث يتقاطع العشق الصوفي مع الشوق الروحي في جو مشحون بالحب، لترتسم أمام القارئ مشاهد مشحونة بعناصر الطبيعة في تفاعلها مع بعضها وتفاعل الإنسان معها. ويمكننا تتبع بقية مقاطع القصيدة -التي يرسمها الشاعر بعناية فائقة- لنكتشف جمال هذا الكون المحب لشخصية الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، بل إنّ القصائد الثلاث قد ائتلفت وانتظمت كلها في تجربة شعرية ممتدة لتعبّر عن تجربة شعرية متصلة ومتنامية تتصاعد تدريجياً لتبلغ مع قصيدة "مدارج العشق" في الدور النهائي أوجهاً في لحظة انكشاف وإدراك تمثل ذروة التعبير الشعري عند قول الشاعر (لا تسألوا القلب) بدءاً من قوله في المطلع الاستهلاكي:

لا تسألوا القلب ما السلوى وما الشغف
يمشي الحنين بأقوامٍ وإن وقّفوا
لا تسألوه... جِراز الشوق مُترَعّة
من يوم اقرأ، ولا زالت كما وصّفوا
وعلى مدار ثلاثين بيتاً إلى اكتمال الدارة التواصلية في البيت الأخير عند قوله:

لا تسألوا القلب.. مشغولٌ بحالته
عند الرّسول، فلا يمشي ولا يقف

هذه الأبيات تنبض بعاطفة صوفية وشوق نبوي وتوازن موسيقي نابع من تدفق صورها الوجدانية، تكرار العبارة (لا تسألوا) في مستهل كل بيت يضفي على النص طابعا خطايا مباشرا يوحى بالحزم والانفعال الوجداني، النهي هنا ليس زجرا إنما يوحى بأن ما يضره القلب أسمى من أن يُسأل عنه ويُشرح له، أسلوب النهي في قوله (لا تسألوا) عبّر عن عمق الحالة الشعورية التي اتخذت حركة تصاعدية تشير إلى أن الشاعر يتدرّج في شوقه وعشقه إلى درجة الاحتراق والفناء (لا تسألوا القلب.. مشغول بحالته) وهو المعنى الذي أطّره عنوان القصيدة "مدارج العشق" الذي كان في علاقة امتدادية مع المتن الشعري. وقد قابل الشاعر بين السلولى والشغف، وهو النهج الذي سارت عليه القصيدة لأن القلب مأخوذ بهوى لا يفتر فهو كإناء فيأض بالشوق مذ نزلت الكلمة (اقرأ) على خير البرية.

القصيدة "مدارج العشق" نموذج شعري - من الأدب الرفيع- تنبض معانيه بحب المصطفى صلى الله عليه وسلم، إحساس متدفق يهز منافذ النفس فينقل المتلقي إلى عوالم الشاعر الشعرية ليشركه هذا الشعور. دقة في البناء وتأنيق في المعنى بفضل اللغة الشعرية المنتقاة التي تتكئ على قوة الهدم والبناء تتجاوز ما هو كائن إلى ما ينبغي أن يكون، وهي اللحظة المشتبهة. يقول الشاعر:

أهيئهم.. أبحث عني.. ليتني حَجَرُ	بُحْجَرَةُ الضَّوء.. يغشاني، فَأَخْطُفُ
أو ليتني بعض رمل في مسجديه	في مَن أَفَاضُوا مِنَ الْوَرَادِ، وَأَتَلَّفُوا
فيصمتون إذا ذابوا وقد نَطَقْتُ	عنهم بليلى التَّصَافِي الْأَدْمُغِ الْزُرْفِ
أو ليتني شعرة من صدره.. عرفْتُ	بَابَ التَّوَالِ وَلَآنْتُ كَلَمًا اعْتَسَفُوا
وطنت نفسي عن حبِّ الألى شَرَبُوا	كَأَسَ الْيَقِينِ، وَلِلْأَسْرَارِ قَدْ كَشَفُوا
فيقبضون ثقلاً جمر حَجَّتْهُمْ	وَيَنْفُزُونَ خِفَافًا أَنَّمَا نُفُفُوا
لا تسألوا القلب.. مشغول بحالته	عند التَّسْوُلِ، فلا يمشي ولا يقفُ

تمثل الأنا الشاعرة - في "مدارج العشق" وفي القصيدتين في الدورين الأول والثاني- محور التجربة الصوفية، حيث تخوض رحلة روحية تتجاوز فيها العالم المادي سعيا لاكتشاف الذات والاتصال بالنور المحمدي (ليتني حجر من حجرة الضوء، ليتني بعض رمل في مسجده، ليتني شعرة من صدره) في لحظة تماه بين الناقى والمقدس.

في قصائد الشاعر "ياسين أفريد" تنوع معرفي وثقافي وعناية خاصة بالشعر علما وفنًا، وقد درج الشاعر في ذلك على مذهب الشعراء الذين «استلهموا مادتهم من قصص السيرة النبوية، والأحاديث الشريفة، واستنبطوا من معاني القرآن وتعايره ما يعينهم على بث عاطفة الشوق لحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم»¹⁸، وهذا «الأسلوب الفني لا يدخل في إطار الشعر المصنوع المفتعل أو المتكلف فيه، ذلك الذي غايته التتميق والتلاعب اللفظي أو الشكلي؛ وإنما غاية الشاعر هنا إرضاء نفسه العاشقة المحبة؛ فهو يسعى ما استطاع إلى ذلك سبيلا أن يقدم نبويات على أسمى مرتبة من التهذيب والتجويد والتنقيح؛ جتا في النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وتشوقا إلى زيارة روضته الشريفة، واستجلابا لبركته والتماسا لشفاعته»¹⁹ وهو بذلك يبحث عن الامتلاء بعد شعوره بالفراغ.

الشاعر في قصيدته "مدارج العشق" يستجلب البركة ويلتمس الشفاعة النبوية عبر استحضار رمزي ووجداني لبردة "كعب بن زهير" التي تعدّ المركز الذي بنيت عليها قصائد المديح النبوي؛ «هذه القصيدة لها الشرف الراسخ، والحكم

الذي لم يوجد له ناسخ، أنشدها كعب في مسجد المصطفى بحضرته وحضرة أصحابه، وتوسل بها فوصل إلى العفو عن عقابه، فسدّ صلى الله عليه وسلم خلته، وخلع عليه حلته ... فهي حجة الشعراء فيما سلّكوه وملاك أمرهم فيما ملكوه ... ولم يزل الشعراء من ذلك الوقت إلى الآن ينسجون على منوالها ويقندون بأقوالها تبركاً بمن أنشدت بين يديه، ونسب مدحها إليه»²⁰، والشاعر أشار إليها صراحة في قوله:

ما زلتُ أزجي المعاني غير منصرفٍ من يوم بانث... وشوقي ليس ينصرف
ما زلتُ أسأل عن أحوال معتذِرٍ أودى به الفقدُ والأشواقُ والكلفُ

أشار الشاعر إلى البردة ليحيي تجربة الشاعر الأول في خضوعه وتوبته ومحبته وينغس في حالة وجد صوفي متجاوزا الزمان والمكان، لقد حازت البردة على الثناء النبوي الشريف شكلا ومضمونا، الأمر الذي أكسبها صفة القداسة التي لا يجوز عُزفا تجاوزها إلى غيرها من الأشكال، لكن الشاعر لا يذوب فيها تقليدا، بل إنه حافظ على خصوصية نظمه وتفردته الأسلوبية، ولم يخضع خضوعا أعمى للنموذج الذي استقرت عليه المدايح، موقفا إلى حد بعيد بين روح التراث ونضج التجربة الذاتية المعاصرة، وربما هذا من الشروط التي فرضتها لجنة التحكيم.

في قصائده المدحية يمزج الشاعر "ياسين أفريد" بين المدح والابتهاال والاعتراف الروحي مازجا بين حرارة العاطفة ووهج الشوق وعمق الرمز، تتسم القصائد بوحدة موضوعية يجمعها الحب النبوي كغرض رئيس، وعلى الرغم من هذه الوحدة الموضوعية إلا أن الشاعر يبدع في خلق تنوع موسيقي عبر استخدام بحور شعرية مختلفة، الأمر الذي يمنح كل قصيدة نفسا خاصا يتلاءم مع مراحل المنافسة وأدوارها، أما من حيث المضمون فتظهر القصائد ثراء دلاليا ومعنويا بالارتكاز على الكثير من الأفكار والمعاني المتعلقة بالسيرة النبوية؛ فضائله (صلى الله عليه وسلم)، أصله الشريف، أخلاقه، صفاته، شفاعته، معجزة الإسراء والمعراج، الشوق إلى زيارة قبره... الخ، تجلّت هذه الملكة وهذا الوعي الشعري الذي وازن بين وحدة الشعور وتعدد الأساليب والتجليات في أكثر من مظهر، نجملها فيما يأتي:

أ- مدح الأخلاق النبوية:

يمدح الشاعر "ياسين أفريد" خير البرية محمدا صلى الله عليه وسلم ويذكر صفاته ومحامده وفضائله، ويشيد بما حباه به الله تعالى من قيمة ومكانة في الدنيا والآخرة مثنيا على قدره وقيّمته الرفيعة بأن شرفه فكان غلالا للروح ونورا للخلاص البشري نحو الهداية والفرج والفتح المبين، يقول في قصيدة "أنوار الخلاص":

وقولي: لقد أرسى خللاً تقوله بكل لغات الأرض، دون تردّد
تسريل بالآيات.. أسمع صوتها لكل أصم، تائه، متردّد
أغثني.. غلال الروح أحرق شطأها حنين، كمّوار السّطي المتوقّد
فطني من الغايات حوضك.. كلما أضيع، أشمّ الأرض، أعرف مقصدي
والهّج باسم الله، واسمك شاهدٌ وهديك في الأسفار سفير تعبدي
يقول رواة الحب: كان غمامةً تظلل ركبنا الحقيقة والغد..
إذا جدّ جدّ، كان أول راكب إلى الشمس، جليدا لا يجوز ويعتدي
له العروة الوثقى، ونهر محبّة نزلن بأنوار الخلاص المخلّد

"العروة الوثقى" رمز قوي ومكتنف يحمل معنى الثبات واليقين والاعتصام بالله، وإشارة بليغة إلى الجبل الشديد الذي لا ينقسم، ذلك الجبل المتين هو الإسلام الذي آخى بين المسلمين وجمع شتاتهم ووحد قلوبهم على كلمة التوحيد فجعلهم متمسكين بكتاب الله والسنة النبوية ومعتصمين بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، هذه الوحدة تجلت في أجمل صورها في تنافس القصائد في مدحه صلى الله عليه وسلم، وعليه فإن الشاعر في قصيدة "قاب قوسين أو أدنى" يظهر في بوجه خجلا وحيرة أمام إرث من سبقوه من الشعراء الكبار، يقول:

إِنِّي لِأَحْجَلُ مِنْ قَصَائِدَ لَمْ تَزَلْ بِأَلْبَابٍ وَأَقْفَةٍ عَلَى نِيَرَانِ
لَا زِلْتُ أَضَعُّ مَذْرَجَ الْمَعْنَى عَلَى يُثْمِي فَيَقْضَحُ شَقْوَتِي، وَهَوَانِي
كَمْ يُسْرِجُ الشُّعْرَاءُ خَيْلَ حُرُوفِهِمْ طَرِبًا .. وَهَا أُمْشِي مَعَ الرُّكْبَانِ
فَأَجِيءُ أَضْعَرَّ مِنْ حُرُوفِي، كَلَمَّا زُمْتُ أَمْتِدَاكَ تَسْتَجِي الشَّفَتَانِ
أَنْسَتْ نَوْرًا جَلًّا فِي أَوْصَافِهِ مُتَأَلِّلًا فِي أَحْرِفِ الْقُرْآنِ

تظهر هذه الأبيات تواضع الشاعر واعترافه بمكانة من سبقوه من الشعراء، لكأن حروفه تستحي من سطورهم، هذا الجبل ليس ضعفا منه وليس إنقاصا من ملكته الشعرية ومكانته الأدبية وإنما هو دليل على تواضعه ورقى إدراكه بقيمة الشعر وبتقل الكلمة وعمق صداها خاصة إذا كان المقام هو مقام مدح للنبي صلى الله عليه وسلم. الشاعر لم يصغر ممها استحاء الشفتين، وإنما يهتدي بنوره صلى الله عليه وسلم فيطيل على طريقة المداحين في وصف شمائله التي عرف بها بين الناس من جلم وعدل وأمانة وسائر مكارم الأخلاق التي بُعث ليتممها، كما يقف على ملامحه الخارجية وحسنها من تألف المظهر والمضمّر، والمنظر والمخبر، فهو نور يستضاء به، هذه الأنوار تتجلى بوضوح في مظاهر النور الإلهي العظيم، في القرآن الكريم؛ نور الحق والهداية الذي ألقى بنوره على الكائنات فأذهب عنها الوحشة وبث فيها الهدوء والطمأنينة.

ب- الاستغاثات وطلب الشفاعة والدعاء:

الاستغاثات هي «الأحاديث التي تعلقت بموضوع الشفاعة، ومنها ما روي عن أنس (رضي الله عنه) أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما في الأرض من حجر وشجر"²¹. والاستغاثات هي التضرع إلى الله طلبا للعون والشفاعة، والإلحاح في الدعاء كي ينجي سبحانه وتعالى الأمة ويدفع عنها كل بلاء سائلا إياه بالتعجيل بالفرج.

في قصائده المدحية يطلب الشاعر "ياسين أفريد" الشفاعة يوم القيامة ويتوسل إلى الله حتى تغفر الذنوب وتمحي الخطايا، يقول في قصيدة "قاب قوسين أو أدنى":

تَحْتَجُّ رُوحِي بِالشَّفَاعَةِ كُلَّمَا شَوْقُ سَقَاهَا كَأَنَّهُ، وَسَقَانِي
جَبَلْتُ عَلَى حَبِّ الرُّسُولِ وَعَقَلْتُ أَسْرَازَهَا بِجَبَائِلِ الْغُفْرَانِ
رَفَعْتُ إِلَى بَابِ الْمَقَامِ نِدَاءَهَا فَأَجَابَتِ الْبَطْحَاءُ وَالْحَرَمَانِ

في أبيات الشاعر توسل واستغاثة ودعوة ورجاء لاستنهاض رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يهب لنجدته، راجيا النصره وثقا أن أمله لا يخيب. والشاعر على يقين بأن الدعاء يفتح المغاليق، يظهر هذا المعنى في قصيدته "أنوار الخلاص" عند قوله:

وحسبي من الدينـا أربجك في المـدى
وإني لمحتـاج دُعـاك، فإنـته
يفيـضُ على الأرجاء من غير موعـدٍ
يحلّ مغاليق السـؤال المصقـدِ
إنّ الدعاء يحمل معاني إيمانية عميقة، فهو سببٌ في تفرّج الكروب وحلّ المشكلات وفكّ الأبواب المغلقة، وهو سبيلٌ للإجابة عن الأسئلة الصعبة التي حيّرت الشاعر الصوفي وملكت لُبّه بعد أن كان حائراً لا يطلب من الدنيا إلا أن تشرق على أنفاسه العطرة، فهو أسير وهج الحب المحمدي لا يطلب من الدنيا سوى وصل رُوحه ممتدّ في الزمان والمكان، وهو يجد في الدعاء وسيلة لذلك الاتصال باعتباره مفتاح الرحمة حسب ما جاء في الأثر.

جـ- الأماكن المقدسة، وربطها بالحقيقة المحمدية:

عَبّر الشاعر في مدح النبوي عن شوقه ولهفته لزيارة المراح النبوية المقدسة التي شهدت انبعاث النور المحمدي ومراحل الدعوة الإسلامية. نجده يذكر أسماء أماكن بعينها (حراء، الغار، البطحاء، الحرمان، مزدلفة) كما نجده يستظهر مشاعره الطيبة النبيلة الشامية تجاه كل مقام مقدس وطأته قدماه صلى الله عليه وسلم، يقول في قصيدة "أنوار الخلاص":

فلولا حديث الغار ما رقّ عاشقٌ
تدور وصايا الكون حول مقامه
ولا عرفت في الناس أمة أحمدٍ
ويصدق شوقاً لكل طيرٍ مغردٍ
وتجشّ في السرّ المفأوز باسمه
وتنهي دعاها بالرجاء، وتبدي
وجهماً تميد الراسيات صبابةً
ونجوى، أنيخي يا قصائد وأشهدي

يظهر الشاعر "ياسين أفريد" زاهداً متعبداً مظهرها مقاليد الوفاق والتقدير لخير البرية محمد صلى الله عليه وسلم، مبجلاً للحقيقة المحمدية، حيث نوره المشع صلى الله عليه وسلم لا زال يلقي بآلقة في جميع الموجودات، يقول في قصيدة "مدارج العشق":

من فرط ما شغّ، حتى أنه معنا
ما بين نورين ها أمشي...يشيعني
ما أكرم الناس في الميقات وازدلفوا
فبركبـون في العبـى لواعجهم
على الطريق إذا ساروا له أثر
هنا أقام.. هنا صلّى، هنا امتزجت
نحن الذين بنور الله نلتحفُ
لمح العبارة يستخفي، وينكشِفُ
إلا وأنت مع الحجاج تزدلفُ
تفيض أعينهم من هول ما عرفوا
وفي الحنايا تجلّى أينما عكفوا
دماؤه بدم العشاق إذ نرفوا

في الآيات حديث عن نوره الجلي صلى الله عليه وسلم الذي شمل السموات والأرض، وحديث عن كمال شأله واصطفاء الله تعالى له، وفي هذا تتكرر المعاني القائمة على أساس التصوّر الصوفي للحقيقة المحمدية ويبرز توق الشاعر للبِقاع المقدسة وتطلّعه بروح عاشقة، مع من حجّ، لكل مكان طهره الله. قلبه يهفو شوقاً إلى كل مكان حلّ فيه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وفي هذه الأماكن المقدسة تعالقت أرواح محبّيه بروحه الطاهرة واتّحدت حدّ امتزاج دمه بدماء العاشقين، وهذه المرتبة التي تمثل ذروة الفناء في المحبوب قد أعطت القصائد بعدها الديني والتاريخي، وكذا بعدها الروحاني.

د- التعبير عن الحب الصادق، والشوق، والفخر بالانتماء إلى الإسلام:

في غمرة الشوق للديار الحجازية يظهر الشاعر "ياسين أفريد" راثيا حزينا لفقد الرسول صلى الله عليه وسلم، يتأجج الشوق عنده تحنانا فيظهر قدرا كبيرا من التودد بأن مدحه بقصائد غرر عبر فيها عن خالص المشاعر التي يكتبها للرسول، تقديرا، حبا، ثناء، وتمتيا في اللقاء. تفتن في رفع مرتبة النبي فوق الخلق بأسرهم، رسم ملامحه في أبهى صورها، كما أظهر مواجهه في أصدق تجلياتها حتى بدا الحرف مرآة لروحه والبيان ترجمانا لأشواقه، يقول في قصيدة "قاب قوسين أو أدنى":

أَسْرَارَهَا بِحَبَائِلِ الْغُفْرَانِ
فَأَجَابَتِ الْبَطْحَاءُ وَالْحَرَمَانِ
ثُمَّ لَمَّا أَلْقَى مِنَ السُّلُوفِ
فِي مَحْفَلِ الْأَصْحَابِ وَالْإِخْوَانِ
رُوحِي تَذُوبُ كَقَلْبِي النَّشْوَانِ
عَهْدَ الْبِرَاءِ وَيُبْعَثُ الرُّضْوَانِ
فَرَحًا يَهْمُ الْقَلْبُ بِالطَّيْرِ
مُتَعَلِّقِي، وَجَوَارِحِي خُلَايَا
فِي النَّاسِ فِي سِرٍّ فِي إِعْلَانِ
وَتَمَثَّلُوا سِرَّ اسْمِهِ الثُّورَانِ
بَيْنَ الصُّلُوعِ هَوَاجِ الْأَشْجَانِ
يُصْغِي وَتَحْدُو حَذْوَةَ الْأُذْنَانِ

جَبَلْتُ عَلَى حُبِّ الرَّسُولِ وَعَلَّقْتُ
رَفَعْتُ إِلَى بَابِ الْمَقَامِ نِدَاءَهَا
فَإِذَا فُقِدْتُ بِحُجَّتِهِ فَلَأَنْتَنِي
إِنَّ الْحَبِيبَ يَبْثُ شِدَّةَ شَوْقِهِ
اشْتَقْتُ لِلْأَحْبَابِ - قَالَ - فَلَمْ تَزَلْ
أُصْغِي إِلَى صَوْتِ الْحَيْنِ مُجَدِّدًا
تَسْرِي الْقِصَائِدَ ثُمَّ تَعْرُجُ مِثْلَمَا
قَلْبِي دَلِيلِي فِي الْغُرُوجِ وَهَمَّتِي
الصَّبُّ أَصْدَقُ تَهْمَةٍ أَدْعَى بِهَا
مَا أَذَّنَ الْعَشَّاقُ حَيَّ عَلَى الْهَوَى
إِلَّا شِدَا طَيْرُ الرِّضَا، وَتَحَرَّكَتْ
مَنْ قَالَ أَنَّ الْقَلْبَ لَا يُصْغِي؟! بَلَى

ويقول في قصيدة "أنوار الخلاص" مختصرا الأصل التزائي للإنسان وما يعتل بداخله من مشاعر وأحوال وأسرار:

نُورٌ إِذَا هَمَّنَا، وَأَغْدُو بِمُفْرَدِي
عَلَى النَّارِ يَذْكُرُنَا، وَيَعْلَنُ مَوْلَدِي
وَأَعْرَجُ.. فِي قَلْبِي ضِيَاءٌ، وَفِي يَدِي
صَدَى.. فِي ظِلَالِ الْوَجْدِ هَيْتًا مُقْعَدِي
نَزَلْنَ بِأَنْوَارِ الْخُلَاصِ الْخَلْدِ
كَحَبَابَاتِ عَقْدِ نَافِرٍ، مُتَبَدِّدِ
يَفِيضُ عَلَى الْأَرْجَاءِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ
يَحْلُلُ مَعَالِيقَ السُّؤَالِ الْمَصْقَدِ

أَنَا الطَّيْنُ، وَالْبَاقِي مُوَاجِدِ مَدْفِ
... عَلَى بَابِكَ الْقَلْبُ الْمَعْنَى مَعْلُوقِ
فَأَسْرِي.. وَقَدْ جَلَى حِرَاءُ كَشُوفِهِ
أَكْفَكُفُ شَوْقِي دُمُوعًا، فَلِلْجَوَى
... لَهُ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَنَهْرُ مُحِبَّةِ
وَلِي مِنْ جَرَارِ الشَّوْقِ خَمْسُونَ حِجَّةِ
وَحْسِي مِنَ الدُّنْيَا أَرِيحُكَ فِي الْمَدَى
وَإِنِّي لِمُحْتَاجٍ دَعَاكَ، فَإِنَّهُ

وفي قصيدة "مدارج العشق" يظهر الشاعر غارقا مشدوها في المحبة والتذلل والوله الصوفي، في قوله "أهيم أبحث عني" بحث عن الجوهر بعد حالة من التوهان بين الفناء والبقاء، محبته الخالصة جعلته ضعيفا، ذليلا، خاضعا، متضرعا، متمتيا

شرف الفناء في الحضرة المحمدية، حتى ولو تمثل في صورة حجر بحجرة الضوء (موضع التجلي)، أو رملا في مسجده، أو شعرة من صدره صلى الله عليه وسلم:

أهيمم.. أبحث عني.. ليتني حجر
أو ليتني بعض رمل في مسجده
فيصمتون إذا ذابوا وقد نطقت
أو ليتني شعرة من صدره.. عرفت
وطنت نفسي عن خب الألى شربوا
فيقبضون ثقالا جمر حجتهم
لا تسألوا القلب.. مشغول بحالته
بحجرة الضوء.. يغشاني، فأخطف
في من أفاضوا من الورد، واتلفوا
عنهم بليل التصافي الأدمع الذرف
باب النوال ولانت كلما اعتسفوا
كأس اليقين، وللأسرار قد كشفوا
وينفرون خفافا أيما ثقفوا
عند الرسول، فلا يمشي ولا يقف

يمتاز هذا الحب عند "ياسين أفريد" بمثاليته، وعفته، ونورانيته، وبصوفيته. لوحات فنية ضمنها أشواقه ومواجيده فيها قوة العبارة وجودة السبك وروعة التصوير، وفيها توفيق بين جدية المضمون وأصالته، ومتعة العرض وروعته من غير تبذل أو تكلف.

هـ- إبراز المعجزات النبوية:

يمتدح الشاعر الرسول الكريم من خلال نوره الذي عم الأرض والبشرية جمعاء، ويذكر معجزته الكبرى وهي نزول القرآن الكريم، وكيف كان الكون ينسجم انسجاما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مستبحا لاهجا باسمه، يقول في قصيدة "أنوار الخلاص":

فلولا حديث الغار ما رق عاشق
تدور وصايا الكون حول مقامه
وتجهش في السر المفأوز باسمه
وجها قنيد الراسيات صباه
ولا عرفت في الناس أمة أحمد
ويصدح شوقا لكل طير مغرد
وتتهي دغاها بالرجاء، وتبتدي
ونجوى، أنيخي يا قصائد واشهدي

ولما كان المعراج الساموي يأخذ بمجامع القلوب فقد تخير الشاعر معجزة الإسراء والمعراج وضمها مدحته، تلك المعجزة التي عرج فيها الرسول إلى الساعات العلا فصعد إلى سدة المنتهى وكان أقرب إلى العرش العظيم حتى صار ﴿قاب قوسين أو أدنى﴾ [سورة النجم- الآية 9]، يقول الشاعر:

على بابك القلب المعنى معلّق
فأسري.. وقد جلّ حراء كشوفه
وفي قصيدة "قاب قوسين أو أدنى" تذوب الحروف ويعلو المقام فيقول:

تسري القصائد ثم تغرغ مثلما
قلبي دليلي في العروج وهمتي
فرحا بهم القلب بالطيران
مُتعلّي، وجوّارحي خلّائي

لاذ الشاعر "ياسين أفريد" إلى ربّه زاهدا متمتلا طريقه صلى الله عليه وسلم، جاعلا قصائده تنساب في عروج روعي يتجاوز الأرض إلى السماء تماما كما في الإسراء والمعراج. يتحرّر الشاعر من قيود جسده فيسري ومعه قصائده في مراتب

سامية ليعرج إلى المعاني العليا، وهذا العروج لا يعني الصعود المكاني، بل هو ارتقاء في المقامات الروحية من عالم الحس إلى عالم المعنى، ومن الأنا إلى الفناء، هذا المشهد المهيّب عبّر عنه عنوان القصيدة "قاب قوسين أو أدنى" الذي جاء مفسّراً للمضمون فكان «النواة أو المركز للنص الأدبي، يمدّه بالمعنى النابض، فيقدّم لنا معرفة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه، إذن هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه ويجدّد هوية القصيدة فهو -إن صحّت المشابهة- بمثابة الرأس للجسد والأساس الذي تبنى عليه القصيدة»²²، ولكي تصير هذه الأخيرة كيانا محسوسا جماليا عليها تجاوز ما هو كائن إلى ما ينبغي أن يكون، حسب قول «أدونيس»؛ «لقد انتهى عهد الكلمة الغاية، وانتهى معها عهدا تكون فيه القصيدة كماء لفظية. أصبحت القصيدة كماء شعرية، وأقصد بالشعرية هنا حالة كيانية يتوقّد فيها الانفعال والفكر. القصيدة إذن، تركيبٌ جديدٌ يتعرّض فيه من زاوية القصيدة وبوساطة اللغة وضع الإنسان. وهذا يعني أن لغة الشعر ليست لغة تعبير بقدر ما هي لغة خلق»²³، وهو ما أظهره "ياسين أفريد" في قصائده حيث راح يؤصّل لمبدأ الصوفية في شعره بعد أن أظهر قدرا من الخشوع والتذلّل لله عز وجل، وأبدى حبا صادقا عميقا للرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

الخاتمة:

يُعتبر المدح النبوي من أهم موضوعات الشعر العربي، منذ بزوغ الإسلام إلى يومنا هذا نظم الشعراء المسلمون ولا يزالوا قصائد كثيرة في حب الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيما لشخصه وإقرارا برسالاته النبيلة المفعمة بالخير. وباعتباره صلى الله عليه وسلم نموذجا قيميا متعاليا عثما هو سائد في الخلق فقد تسابق الشعراء في مدحه حتى امتدّ المدح إلى عصرنا. وعلى الرغم من وحدة مواضيع المقطوعات والقصائد وركوب عدد غير قليل من الضروب على البحور الشعرية متنوعة الإيقاعات فإنّ الشاعر "ياسين أفريد" قد تدرّج في أدوار مسابقة "القصيدة المدحية في مدح خير البرية" بعد أن استطاع تقديم نماذج قيمة مرتكزا على مجموعة من الأفكار والمعاني المتعلقة بالسيرة النبوية، إلى أن بلغ النهائي بقصيدته "مدارج العشق" التي نالت قصب السبق واختيرت كأحسن قصيدة بعد أن أثنى عليها المحكّمون.

- قصائد "ياسين أفريد" في المدح النبوي تلائم الذوق الإسلامي باعتبارها تعبيرا صادقا عن مشاعر الحب والوفاء وتقديرا وتعظيما، فهي تصوّر العمق الإيماني الصوفي وتكشف عن إحساس الإنسان المؤمن ورؤيا الفنان العاشق الذي يبحث عن الامتلاء بعد شعوره بالفراغ.

- جمع الشاعر "ياسين أفريد" في قصائده بين كلّ حسنات الشعر؛ ألفاظ متينة قوية مهيّبة، تميّزت بالتنوع والغزارة والسهولة والوضوح والنقاء إلى جانب الفخامة والجزالة ورصانة السبك، قصائد جميلة العبارة رقيقة الجرس جزلة الأسلوب واضحة الرؤيا قوية الخيال وموحية المعنى، تُسجّت بحبّ وألّقيت بحبّ في أعظم الشهور عند الله تعالى لتكون أعمق وقعا في النفوس وأشدّ تعلقا بالقلوب.

- احتضنت مسابقة "القصيدة المدحية في مدح خير البرية" غرر القصائد فأدّت رسالة روحية الطابع تهدف إلى تعميق حبّ المصطفى في قلوب الأجيال الصاعدة، المساهمة في حفظ اللغة العربية السليمة وتداولها بشكل صحيح، تشجيع أبناء الوطن العربي والإسلامي على حفظ الشعر والاهتمام به لما له من أثر طيّب في زرع القيم الإسلامية الأصيلة في نفوسهم، المحافظة على تراثنا وتناقله عبر الأجيال، إلى جانب استثمار الشعر في إبراز رسالة الإسلام السمحة والذود عنها.

هوامش:

- ¹ أحمد دنيقة، 1966، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، ط1، بيروت، لبنان- دار مكتبة الهلال. ص10.
- ² سامي مكي العاني، 1983، الإسلام والشعر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع66. ص132.
- ³ ينظر: فاطمة الزهرة المساري، نشأة المدايح النبوية، ج1، العرائش- المغرب، مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة.
- ⁴ لشرح الحديث ينظر: موسى شاهين لاشين، 2002، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ج9، ط1، القاهرة، دار الشروق. ص500.
- ⁵ عن تاريخ المدايح النبوية، ينظر: محمود علي مكي، 1991، المدايح النبوية، ط1، مكتبة لبنان، لونغمان- القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر.
- ⁶ ينظر: محمود علي مكي، المدايح النبوية. ص141-152.
- ⁷ صالح خرفي، شعر المقاومة الجزائرية، الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع. ص51.
- ⁸ عبد الله ركيبي، 1981، الشعر الديني الجزائري الحديث، ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ص92.
- ⁹ جائزة "القصيدة المحمدية في مدح خير البرية" هي نشاط ثقافي ديني أطلقته وزارة الثقافة والفنون الجزائرية بمناسبة حلول شهر رمضان للموسم (1444هـ-2023م) لأحسن قصيدة في مدح الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وقد أشرفت وزيرة الثقافة والفنون "صورية مولوحي" على اختتام الطبعة الأولى بعد اختيار أحسن قصيدة في مدح الرسول محمد عليه الصلاة والسلام. وقد شهد الحفل تكريم الفائزين بالمراتب الثلاثة الأولى عن الشعر المالحون والفصح، حيث تحصل الفائز بالجائزة الأولى في كلّ فئة على مبلغ مالي قدره 70 مليون سنتيم، بينما تحصل الفائز الثاني على مبلغ 50 مليون سنتيم وتحصل الفائز الثالث على مبلغ 30 مليون سنتيم. ينظر: اختتام الطبعة الأولى من مسابقة "القصيدة المحمدية في مدح خير البرية". أخبار الوطن. شبكة إخبارية جزائرية، تحرير: 20 أبريل، 2023. الرابط:
- <https://2u.pw/fAeHW7>
- ¹⁰ قصيدة ألفت في الدور الأول، رابط الحلقة: <https://youtu.be/j9KQj91iWwY?t=1254>
- ¹¹ قصيدة ألفت في نصف النهائي، الحلقة غير متاحة عن المؤسسة العمومية للتلفزيون الجزائري في شبكة اليوتيوب، وقد تحصلنا على القصيدة بعد تواصلنا مع الشاعر.
- ¹² قصيدة ألفت في النهائي، رابط الحلقة: <https://youtu.be/-zkPXp1TX3E?t=1630>
- ¹³ معاش حياة، سبتمبر 2016، جالية الصورة الشعرية في قصيدة المدح النبوي، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح- الجزائر، ع26. ص225، 226.
- ¹⁴ آمنة بلعلي، 2000، الحركة التواصلية في الخطاب الصوفي، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب. ص107.
- ¹⁵ طه عبد الباقي سرور، الحسين بن منصور الحلاج. شهيد التصوف الإسلامي، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. ص27.
- ¹⁶ المرجع نفسه. ص27.
- ¹⁷ نيكلسون، 2002، الصوفية في الإسلام، تر: نور الدين شريعة، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي. ص104.
- ¹⁸ كمال لعور، المدايح النبوية في الشعر الجزائري الحديث بين أشياخ التصوف وأنصار الإصلاح. ص94
- ¹⁹ سمير مرزوك، 2021، المدايح النبوية المعينية. قراءة في البنية والموضوعات، مجلة العلماء الأفارقة، مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، ع4. ص301.

- ²⁰ المقرري شهاب الدين أحمد بن محمد، 1997، فتح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج2، تح: إحسان عباس، ط1، بيروت، دار صادر. ص689.
- ²¹ القاضي عياض أبو الفضل اليحصي، 2002، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ط1، بيروت، دار ابن حزم. ص136.
- ²² محمد مفتاح، 1987، دينامية النص، ط1، الدار البيضاء-المغرب، المركز الثقافي العربي. ص72.
- ²³ أدونيس، 2004، مقدمة الشعر العربي، دمشق-سوريا، دار البعث. ص152.

قائمة المراجع:

1. أدونيس، 2004، مقدمة الشعر العربي، دمشق-سوريا، دار البعث.
2. آمنة بلعل، 2000، الحركة التواصلية في الخطاب الصوفي، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
3. سامي مكى العاني، 1983، الإسلام والشعر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع66.
4. صالح خرفي، شعر المقاومة الجزائرية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع.
5. طه عبد الباقي سرور، الحسين بن منصور الحلاج. شهيد التصوف الإسلامي، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
6. عبد الله ركيبي، 1981، الشعر الديني الجزائري الحديث، ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
7. فاطمة الزهرة المساري، نشأة المدائح النبوية، ج1، العرائش-المغرب، مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة.
8. القاضي عياض أبو الفضل اليحصي، 2002، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ط1، بيروت، دار ابن حزم.
9. محمد مفتاح، 1987، دينامية النص، ط1، الدار البيضاء-المغرب، المركز الثقافي العربي.
10. محمود علي مكى، 1991، المدائح النبوية، ط1، مكتبة لبنان، لونغمان-القااهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر.
11. المقرري شهاب الدين أحمد بن محمد، 1997، فتح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج2، تح: إحسان عباس، ط1، بيروت، دار صادر.
12. موسى شاهين لاشين، 2002، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ج9، ط1، القااهرة، دار الشروق.
13. نيكسون، 2002، الصوفية في الإسلام، تر: نور الدين شريعة، ط2، القااهرة، مكتبة الخانجي.

المجلات:

1. مجلة الأثر، سبتمبر 2016، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، ع26.
2. مجلة العلماء الأفارقة، 2021، مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، ع4. (سمير مرزوك، المدائح النبوية المعينية. قراءة في البنية والموضوعات).

المعاجم:

1. أحمد دنيقة، 1966، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، ط1، بيروت، لبنان-دار مكتبة الهلال.

المواقع الإلكترونية:

- <https://2u.pw/fAeHW7>
- <https://youtu.be/j9KQj91iWwY?t=1254>
- <https://youtu.be/-zkPXp1TX3E?t=1630>